

الشَّكْر

لقد أنعم الله (عز وجل) على الإنسان بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، قال سبحانه: {وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ١٨] ، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: ٢٠] ، هذه النعم قد يرى الإنسان بعضها رأي العين، ويختفي عليه الكثير منها، وكل نعمة من هذه النعم تقتضي أن يفكر فيها الإنسان، حتى يدرك أسرارها وقيمتها وأهميتها، ويتدبر عظيم نعم الله عز وجل عليه، فيستخدم آلاء الله فيما يحب الله ويرضى، يجعلها عوناً على إقامة الدين في نفسه، ويؤدي بها الواجبات المفروضة عليه، وليحذر أن يستخدمها فيما يبغض الله .

وفضيلة الشكر من أسمى الفضائل وأعظمها قدرًا لأنها تقرب العبد من مولاه، وتجعله موضع حبه ورضاه، حيث أخبر الحق سبحانه في كتابه أن رضاه في شكره وأن سخطه في كفران نعمته، فقال: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرُ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرًا أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيَبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [ال Zimmerman: ٧].

والشكر: دليل على صفاء النفس، وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وكمال العقل، وهو - في حد ذاته - نعمة من الله تستحق الشكر عليها؛ فشكر الله - تعالى - أن ألهمنا شكره، ومن هنا يتواتي الشكر ولا ينقطع.

ولقد عني القرآن الكريم بالحديث عن الشكر عنابة واضحة فذكره في مواطن كثيرة من آياته، وطلب من عباده أن يتحلوا به ويحرصوا عليه، لما له من أهمية كبرى ومنزلة عظمى، فهو قيد للنعم الحاضرة، ومجلبة للنعم المفقودة، قال تعالى: {فَادْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [آل عمران: ١٥٢] ، قوله بالذكر وأمر بهما معاً. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ} [آل عمران: ١٧٢] ، {فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤] ، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: ١٢] . وقال تعالى: {بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ

وَكُنْ مِّنْ الشَاكِرِينَ [الزمر:٦٦]، ولا يأمر الله عباده إلا بما يحقق لهم الخير والسعادة في الدارين، فالسعيد من امتنل أمر ربه فأطاعه فكان من الشاكرين.

حقيقة الشرك: مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيبني على المنعم بلسانه ويبذل الجهد في طاعته، ويتجنب معااصيه في السر والعلن، فالمؤمن الحق هو الذي يقر بأن ما به من نعم وفضل مرده إلى الله وحده، قال تعالى: {وَمَا يَكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]، فهو في كل طرفة عين، ونبضة قلب، يشكر الله تعالى على نعمه المتتجدة بتجدد الليل والنهار، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: ٦٢]. فحقيقة الشرك: أن تكون حركات العبد وسكناته وخواطره ومشاعره وما يتمتع به من نعم موجهة للخير وفي سبيل الله ومن أجل مرضاه الله.

ومن تمام شكر الله تعالى: أن يستعمل الإنسان نعم الله عز وجل فيما خلقت له، وأن يضعها في الموضع التي ترضيه، فالعين نعمة: وشكراها أن يستعملها في النظر إلى ما أحله الله، لا إلى ما حرمته الله، واليد نعمة: وشكراها أن يعمل بها في الطاعة لا في المعصية، في الخير لا في الشر، والأذن نعمة: وشكراها أن يستمع بها إلى ما يعود عليه بالثواب من الله (عز وجل)، والعقل نعمة: وشكراها أن يفكر بها التفكير السليم الذي يعود عليه وعلى المجتمع كله بالخير والرخاء، وكذلك المال نعمة: وشكراها أن يوجهه للخير، وأن يساعد به المحتاجين، ويمسح به دموع المكتوبين، وينفقه في مصالح العباد والبلاد، وغير ذلك من نعمة الصحة والشباب والجاه والسلطان، فكلها نعم سامية يجب أن يشكر الإنسان عليها ربه عز وجل بتسخيرها للخير ونفع العباد، وبالوقوف عند حدود الله تعالى. وكذلك كل نعمة أنعم الله بها على الإنسان يجب أن يستعملها في طاعة الله سبحانه، يقول عز وجل: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٢٨].

فضل الشرك: ويکفي في بيان فضل الشرك وعظيم منزلته أن الله تعالى وصف به نفسه فقال: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى: ٢٣]، وقال: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧]، وقال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَسْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧]. وليس معنى أن الله شاكر أن هناك من أسدى الله معروفاً هو سبحانه يحتاج إليه ، فالله لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، لكن الشرك من الله

معناه: المغفرة والإنعم على عباده، وإثابتهم على ما قاموا به من العبادة والطاعة، وما قدموه للعباد من معروف، بل إن ربنا سبحانه يشكر كل من أسدى معروفاً للحياة سواء أداه إنسان أو حيوان، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ التَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَخَ بِي فَمَلَأَ خُفَهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَقِهِ ثُمَّ رَقَيَ الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ (رواية البخاري)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي يَطْرِيقٌ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ (رواية البخاري)، فشكر الله للعبد بمغفرته سبحانه للذنوب ومجازاته للعبد بالأجر والثواب.

وكذلك وصف الله تعالى به أنبياءه ورسله، فكان الشكر خلقاً لازماً لأنبياء الله (عليهم السلام)، وفي هذا حث للأمة أن تقتدى بهم، فأول أنبياء الله نوح (عليه السلام)، وصفه ربُّه بقوله: {دُرْيَةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣]، وخليل الله إبراهيم (عليه السلام) قال فيه ربُّه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَانِتَّا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لَّا نَعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: ١٢٠-١٢١].

وها هونبي الله داود (عليه السلام) ينادي ربه ويأسأله كيف يؤدي شكره، فقال: (يا رب، كيف أطيق شكرك وأنت الذي تُنعم علىَّ، ثم توزعني على النعمه الشكر، ثم تزيدني في نعمه بعد نعمه، فالنعمه مِنْكَ يا رب، والشكر مِنْكَ، وكيف أطيق شكرك؟، قال: الآن عرفتني يا داؤد حق معرفتي) (رواية البيهقي).

وينظر سليمان (عليه السلام) فيما خصه به ربُّه من نعم، وما سخر له من مخلوقاته فلم يقابلها بالكفر والجحود، وإنما قابلها بالدعاء لمولاه أن يوفقه ويعينه على شكره، فقال تعالى على لسان سليمان: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالَّذِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]، وقال تعالى - على لسان سيدنا سليمان (عليه السلام) - أيضاً: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوْنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّيْ غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: ٤٠].

أما نبينا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم لربه من الليل حتى تفطر قدماه، وعندما سُئل: لِمَ كُلُّ ذلك يا رسول الله

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ كان جوابه: (أَفَلَا أَكُونْ عَبْدًا شَكُورًا؟)،
وقال ابن عمير لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أَخْبَرِنَا يَا عَجَبٌ شَيْءٌ رَأَيْتُهُ مِنْ
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: فَسَكَّتْتُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ:
(يَا عَائِشَةُ دَرِينِي أَتَعْبَدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ:
فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ
يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحِيَتِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ يَلَالُ
يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمَ وَمَا
تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلَا أَكُونْ عَبْدًا شَكُورًا" (رواية ابن حبان).

وقد علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف نؤدي شكر الله تعالى على
نعمه، فعن عبد الله بن غنم البياضي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (من قال
حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمبارك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك
الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليته) (رواية
أبو داود).

على أن شكر الله - تعالى - لا يكون باللسان فحسب، بل شكره باللسان، والقلب،
والجوارح، والعمل، فشكر اللسان: يكون بذكر نعم الله - تعالى - وفضائله، وكثرة حمده
عليها، قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثَنَا}[الضحى: 11]، والوفاء بحقها، يقول الحق
سبحانه: {أَعْمَلُوا آلَ دَاءُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ} [سبأ: 1].

وشكر القلب: يكون باعتقاد العبد أنه مُنعم عليه من الله (عز وجل)، فعن أبي
الجلد، قال: قال موسى (عليه السلام) أَنَّهُ قال: "إِنَّهِي كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَصْعَرُ نِعْمَةً وَضَعْتُهَا
عِنْدِي مِنْ نِعْمَكَ لَا يُجَازِي بِهَا عَمَلِي كُلُّهُ" ، قال: فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ " يَا مُوسَى إِنَّكَ
شَكَرْتَنِي " [الزهد لأحمد بن حنبل].

وشكر الجوارح : يكون بترك المعاشي والذنوب، قال مخلد بن حسين: كان
يُقال: "الشُّكْرُ تَرْكُ الْمَعَاصِي " .

ثمرات الشكر

للشكر ثمرات كثرة وعظيمة ، منها:

١. أن الشكر يعود بالخير على الشاكر نفسه، قال سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: ١٢].

٢. حفظ النعم من الزوال، فعن الحسن (رضي الله عنه) قال: "إِنَّ اللَّهَ لِيُمْتَحِنُ بِالسُّعْدَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكُرْ قُلُبَهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا"، وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يقول: «قَيْدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ». ولقد ضرب لنا الحق - سبحانه وتعالى - مثلاً بقرية زالت نعمها؛ لعدم الشكر عليها، فقال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيْبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤-١١٢]. فالشكر سبب بقاء النعمة والحفظ عليها.

٣. الزيادة في النعم، يقول تعالى: {وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]، وقال سيدنا علي (رضي الله عنه) لرجلٍ من همدان: "إِنَّ النِّعَمَةَ مُوصَلَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُعْلَقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ".

مجالات الشكر: الشكر ليس قاصراً على شكر العبد لربه، فإذا كان أول من يشكّر هو الله سبحانه؛ لأنّه صاحب الفضل والمنة والنعمة، ولا منع في الحقيقة سواه، فإن شكر الوالدين يأتي بعد شكر الله عز وجل، لما قدماه لأبنائهم من كل خير في الحياة، لذا قرن الله - تعالى - شكرهما بشكره وطاعتهما بطاعته في أكثر من موطن في كتابه الكريم، يقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَا إِنَّمَا يُوَالِدُهُمْ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيَكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤]، وشكر الوالدين يكون بالطاعة والإحسان إليهما وتوقيرهما وعدم إيذائهما ولو بأقل الألفاظ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَنَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيمَانًا وَبِالوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهِرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣].

ومن كمال الشكر : الشكر لكل من أسدى إلينا معرفة، فهو من باب شكر الله تعالى، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لا يشكّر الله من لا يشكّر الناس) (أخرجه أبو داود)، والحق سبحانه وتعالى يقول: {هَلْ جَزَاءُ

إِلَّا إِلَّا إِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠]. ولقد وصانا نبينا (صلى الله عليه وسلم) بذلك حيث قال: (مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأُعْيَدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأُعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأُجِيُّوهُ، وَمَنْ صَحَّ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِيُّوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِيُّونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) (رواه أبو داود).
ولله در القائل:

وَمَنْ يَسِدْ مَعْرُوفًا إِلَيْكَ فَكَنْ لَهُ ** شَكُورًا يَكْنِ مَعْرُوفَهُ غَيْرَ ضَائِعٍ
وَلَا تَبْخَلْنَ بِالشَّكْرِ وَالْقَرْضِ فَأَجْزِهُ ** تَكْنِ خَيْرَ مَصْنَوعٍ إِلَيْهِ وَصَانِعٍ.

فمن داوم على شكر الله (عز وجل) كان له مثل أجر الصائم الصابر، كما أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعلوم أن أجرهما لا يعلمه إلا الله، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ) (رواه البيهقي في السنن)، وصدق الله العظيم حيث قال: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤].